القسم الضائع

من

كتاب « الوزراء والكتاب » للجهشياري

— ٢ —

أيام المعتصم

« وذكر أبو عبد الله محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء ان عبد الله بن المعلى ابن أيوب حدثه عن أبيه ، قال : قال المعلى بن أيوب : اعتنى الفضل بن مروان ونحن في بعض الاسفار فطالبني بعمل بعيد يعمل في مدة بعيدة واقتضانيه في كل يوم مراراً الى ان أمرني عن المعتصم ان لا أبرح الا بعد الفراغ منه ، فقعدت في ثيابي وجاء الليل فجعلتُ بين يدي نفاطة ، وطرح غلماني أنفسهم حولي وورد عليّ أمر عظيم لاني قلت ما تجاسر عليّ أن يوكل بي الا وقد وقف على سوء رأي فيّ من المعتصم . قال : فاني لجالس وذقني على يدي وقد مضى من الليل بعضه وأنا مفكر ، فحملتني عيني فنمت فرأيت كأن شخصاً قد مثل بين يدي وهو يقول لي : (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون[1] . ثم انتبهت فقرأتها فاذا أنا بمشعل قد أقبل من بعيد ، فلما قرب مني رأيت وراءه حماداً ونفس صاحب الحرس وقد أنكر نفاطتي فجاء ليعرف سببها فأخبرته خبري ، فمضى الى المعتصم فأخبره ؛ فاذا الرسل يطلبونني ، فدخلت اليه وهو قاعد ولم يبق من الشمع الا أسفله . فقال لي ما خبرك ؟ فشرحته له . فقال لي : ويلي على النبطي يمتهنك وأي يد له عليك ، أنت كاتبي كما هو كاتبي ، انصرف . قال : فانصرفت وبكرت الى الفضل على عادتي لم أنكر شيئاً[2] .

* * *

(١) سورة الانعام ٦ : ٦٣و٦٤ (٢) الفرج بعد الشدة ١ : ٢٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أيام الواثق

« قال محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء ، حدثني الحسين بن علي البافطائي . قال : حدثني أبي قال : قال أحمد بن المدبر : لما أمر محمد بن عبد الملك بحبسي ، أدخلت محبساً فيه أحمد بن اسرائيل وسليمان بن وهب وهما يطابان . قال : فجعلتُ في بيت ثالث ، وكنا نتحدث ونأكل جميعاً وربما أدخل الينا النبيذ فنشرب . وكان احمد ابن اسرائيل شديد الجبن وكان ينكر علينا ويمنعنا ان نتحدث بشيء او نرجو لأنفسنا . فجاءني يوماً سليمان بن وهب فقال : رأيت البارحة في نومي كأن قائلاً يقول لي : يموت الواثق الى ثلاثين ليلة . فقم بنا الى أبي جعفر حتى نحدثه . فقلت : والله لئن سمع أبو جعفر هذا ليشقن ثوبه وليسدن أذنه . فقال لي : قم على كل حال ؛ فقمنا ودخلنا عليه فأخبره سليمان بالخبر ، فقال : يا هذا أنت أحسن الناس وأشدهم تحنناً على نفسك وعلينا وانما تريد أن يشيع هنا فنقتل . فقال له : فتكتب هذه الرؤيا عندك لنمتحن صدقها . فنفر وقال : أنا لا أكتب مثل هذا . فكتبت انا في رقعة صغيرة اليوم . فلما جاز يوم الثلاثين دخل الي احمد بن اسرائيل فقال لي : يا أبا الحسن : هذا يوم الثلاثين ، فأخرجت الرقعة فاذا هو قد حفظ اليوم . قال : ومضى يومنا الى آخره ، فلما كان في الليل لم نشعر بالباب الا وقد دق دقاً شديداً وصاح بنا صائح : البشرى قد مات الواثق واخرجوا . فقال أحمد : قوموا بنا فقد حقق الله الرؤيا وأتى بالفرج . فقال سليمان بن وهب : كيف نمشي مع بعد منازلنا ، ولكن نوجه من يجيئنا بما نركب . فاغتاظ احمد بن اسرائيل وقال : نعم نقعد حتى يجلس خليفة آخر ويُقال له : في الحبس جماعة من الكتاب عليهم أموال ، فيأمر بالتوثق بنا الى ان ينظر في أمرنا . قم عافاك الله تعالى حتى نخرج ، فخرج وخرجنا على أثره ، فقبل ان نخرج من باب الهاروني رأينا رجلين يقول أحدهما لصاحبه : سأل أمير المؤمنين جعفر عمن في الحبس ، فقيل له جماعة من الكتاب . فقال : يكونون فيه الى ان ينظر في أمورهم ، فجدبنا في السير وقصدنا غير منازلنا فاسترنا وبحثنا عن الأخبار فبلغنا اقرار الخليفة محمد بن عبد الملك ، فكتبت اليه رقعة عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جماعتنا نعرفه خبرنا واتساع آمالنا ونستأذن فيما نفعل . فلما وصلت اليه وقع على ظهرها : ولمَ استخفيتم وليس منكم الا مَن عنايتي تخصه ورأيي فيه جميل . أما أبوأيوب فقد تكلم في أمره ابومنصور ايتاخ واستوهبه فوهبته له وأمرت باحضاره ليخلع عليه فليحضر . وأما ابوجعفر فانه طولب بما ليس يلزمه وقد وضحت حجته في بطلانه فليصر اليّ . وأما ابوالحسن فانه قذف بباطل . فاظهروا جميعاً واثقين بما عندي من حياطتكم ورعاية حرماتكم . فصرنا اليه جميعاً وزال عنا ما كنا فيه ، وخلع على سليمان ابن وهب خاصة . قال : وفي هذه الحبسة كتب سليمان بن وهب الى أخيه الحسن ابن وهب فيما حكاه محمد بن داود :

هل رسول وكيف لي برسول ان ليلي ان نمت جدّ طويل
هل رسول الى أخي وشقيقي ليت اني مكان ذاك الرسول
يا أخي لو ترى مكاني في الحبـ ـس وحالي وزفرتي وعويلي
وعثاري اذا أردت قياماً وقعوداً في مثقلات الكبول
لرأيت الذي يغمك في الاء ـداء اذ يسلكوا جميعاً سبيلي
هذه جملة أراني غنياً معها عن أداك بالتفصيل
ولعل الاله يأتي بصنع وخلاص وفرجة عن قليل

وذكر أبياتاً أُخر تماماً لهذه الأبيات لم أذكرها لأنها ليست من هذا المعنى . وقد ذكر محمد بن داود في كتابه المسمى كتاب الوزراء من أمر خروج سليمان ابن وهب من حبس الواثق غير هذا وتركت ذكره واعادته[1] » .

* * *

أيام المتوكل

ذكر ابو عبد الله بن عبدوس في كتاب الوزراء ، ان نجاح بن سلمة حبس ابراهيم ابن المدبر مكايدة لأخيه وذلك في أيام المتوكل . فلما طال حبس ابراهيم ولم يجد حيلة في الخلاص ، عمل أبياتاً أنفذها الى المسدود[2] الطنبوريّ وسأله ان يعمل

(١) الفرج بعد الشدة ١ : ١٦٥ — ١٦٧ (٢) في الاصل المطبوع : المشدود بالشين المعجمة وهو تصحيف . والمسدود من مشاهير المغنين ، أنظر ترجمته في الاغاني ٢١ : ١٦٤ - ١٦٦ ؛ وحلية السلمى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيها لحنًا ويغني بها المتوكل ؛ فاذا سأل عن قائلها عرفه انها له . ففعل المسدود ذلك وسأله المتوكل فقال لعبدك ابراهيم بن المدبر فذكره ، فأمر باطلاقه . والابيات هي :

بأبي من بات عندي طارقًا من غير وعدي
بات يشكو شدة الشو ق وأشكو فرط وجدي
وتجنى فبكى فانهل درٌّ فوق ورد
فيدٌ تحت يد طو راً وخد فوق خدي[1] »

* * *

« قال محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء عن سليمان البرقي ، قال : انصرفت عن بعض العمال فألفيت عمر بن الفرج الرُّخجيّ يتقلد الديوان وكان في نفسه شيء علي فأخفيت شخصي وتسترت عن أصحابي فطلبني واذكى العيون عليّ فلم يصل اليّ . وأمر ان يعمل لي مؤامرة تشتمل على ثلاثمائة الف درهم . وكان بيني وبين الحجاج بن سلمة مودة فأتاني عشية من عشايا استتاري رقعته يأمرني بالمصير اليه ، فقدمت عليه ، فلما رآني قال : صر الى عمر بن الرُّخجي فسلم عليه وعرّفه اني قد بعثت بك اليه . قال : فقلت يا سيدي أنظر فيما تقوله فانه يهدر دمي . كيف أمضي اليه هكذا . قال : اعلم انه قال لي اليوم ان فلسطين قد انغلقت عليه وفسدت وقصر مالها مع جلالة ارتفاعها ، وقد أكلها العمال وانه في طلب من يكفيه أمرها ويحفظ مالها ، وليس يعرف من يرضى كفاءته . فقلت لو أردت الكفاة وجدتهم ؛ هذا سليمان بن سهل وهو من الاكفاء ولا يشك فيه ، فلمَ عطلته وأخفته ؟ فقال : وكيف لي به . فقلتُ تؤمنه وتزيل ما عليه من المطالبة وتقلده فلسطين فانه يكفيك أمرها ويوفر عليك مالها ويحمله اليك وانا أبعث به اليك . فقال ابعث به فهو آمن . فصر اليه فانه لا يتعرض لك الا بما تحب . قال : فبكرت اليه فاذا هو في ديوانه ، فلما دخلت صحن الدار رأيت العمال على أكتافهم الحجارة والمقارع تأخذهم ، فهالني ما رأيت ؛ فلما وصلتُ اليه سلمتُ عليه وقلت : اني كنت خادم ابي الفضل أعني أباه فرجًا الرُّخجي وأحد

(١) الفرج بعد الشدة ١ : ١١٧ — ١١٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صنائعه . فقال : لولا ما أتيت به من هذه الحرمة لكنت أحد هؤلاء الذين تراهم ، ثم رفع مصلاه وأخرج الكتب بولاية فلسطين وأمرني بكتمان أمري واعداد السير ، فأخذت الكتب وأشخصت الى هناك فأرضيته وقضيت حق نفسي[1] » .

* * *

« في كتاب ابي عبد الله بن عبدوس : وفي سنة ٢٤٥ بنى المتوكل الجعفري وأنفق عليه الفي الف دينار ، وكان المتولي لذلك دليل بن يعقوب النصراني كاتب بغا الشرابي »

« قال : ولما عزم المتوكل على بناء الجعفري تقدم الى احمد بن اسرائيل باختيار رجل يتقلد المستغلات بالجعفري من قبل ان يبنى واخراج فضول ما بناه الناس من المنازل ، فسمى له أبا الخطاب الحسن بن محمد الكاتب ، فكتب الحسن بن محمد الى أبي عون لما دُعي الى هذا العمل :

اني خرجت اليك من أعجوبة مما سمعت به ولما تسمع
سُميت للأسواق قبل بنائها ووليت فضل قطائع لم تُقطع[2] »

* * *

أيام المعتز

« وفي كتاب الجهشياري : نغيا : قرية قريبة من الأنبار ، ونُسب اليها احمد ابن اسرائيل وزير المعتز[3] » .

* * *

« وقد ذكر الجهشياري في كتاب الوزراء ، قال : استخلف احمد بن اسرائيل وهو يتولى ديوان الخراج للحسن بن عبد العزيز الماذرائي من طسوج النهروان الأسفل[4] »

* * *

أيام المعتمد

« وحدث الجهشياري في كتاب الوزراء ، قال : مدح احمد بن أبي طاهر الحسن ابن مخلد وزير المعتمد فأمر له بمائة دينار . وقال ابو رجاء الخادم [كذا ؛ قال الناشر :

(١) الفرج بعد الشدة ٢ : ١٣٧ — ١٣٨ (٢) معجم البلدان ٢ : ٨٦ ؛ مادة الجعفري طبعة وستنفلد
(٣) معجم البلدان ٤ : ٧٩٨ ؛ مادة نغيا (٤) معجم البلدان ٤ : ٣٨١ ، مادة ماذرايا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لعله ائت] فخذها منه ، فلقي احمد رجاء فقال له : لم يأمرني بشيء ، فكتب الى الحسن :

أما رجاء فأرجي ما أمرت به ... فكيف ان كنت لم تأمره يأتمرُ

بادر بجودك مهما كنت مقتدراً ... فليس في كل حال أنتَ مقتدرُ

فأمر بأضعافها له (١) »

* * *

أيام المعتضد

« وقد ذكر محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء انه وجد بخط ميمون بن هارون عن أبي محمد داود بن الجراح وقد وقع اليّ من وجه آخر على خلاف ذلك باسناده عن جماعة قالوا كلهم : حضرنا مجلس عبيد الله بن سليمان في اول وزارته للمعتضد وقد حضر رجل رث الهيئة بثياب غلاظ ، فعرض عليه رقعة وكان جالساً للمظالم فقرأها قراءة متثاقل لها متفكر متعجب ثم قال : نعم وكرامة ثلاث مرات افعل ما قال أبي لا ما قال أبوك . وكرر هذا القول أيضاً ثلاث مرات ؛ ثم قال له : عد الى وقت العصر لأنظر في أمرك ، ثم قال لنا : اذا خلوتُ فذكروني بحديث هذا لأخبركم منه بعجب عجيب ، وعمل بقية المجلس ثم قام واستراح ودعا بالطعام ؛ فلما أكلنا اكثر الأكل قال لنا : ما أراكم ذكرتموني بحديث صاحب الرقعة ، فقلنا أنسينا ، فقال : حدثني أبي ، قال : كنت في زمن محمد بن عبد الملك في أيام الواثق لما صادرني عن كتابة ايتاخ على أربعمائة الف دينار ، وقد اديت منها مائتي الف ونيفاً واربعين الف دينار ، فاستحضرني يوماً وطالبني بالباقي وحدّني فيه وأرهبني ولم يرضَ مني الا ان اجبت ان أؤدّي خمسين الف دينار قاطعة للمصادرة على ان يطلق ضياعي . قال : ونحن في ذلك ولم يأخذ خطي به بعدُ ، اذْ خرج اليه خادم من دار حرمه برقعة فقرأها ونهض ، فكان بحضرته أخي ابو علي الحسين بن وهب وهو غالب عليه الا انه يخافه ان يتكلم في أمري ، وهو يرى ما يجري ولا يقدر ان يكلمني ولا يكلمه ، فلما قام الوزير رمى الي أخي برقعة لطيفة فوقعت في حجري ، فاذا فيها : جاءني الخبر الساعة من دارك ان قد رزقت ابناً خلقاً سوياً وهو جسم بغير اسم فما تجب

(١) معجم الادباء ١ : ١٥٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان يسمى ويكنى ؟ فقلت له : عبيد الله ابو القاسم . فكتب بذلك في الخال الى منزلي . قال : وتداخلني سرور بذلك وقوة نفس ، وحدثت نفسي بانك تعيش وتبلغ وانتفع بك . قال : وعاد محمد الى مجلسه فأعاد خطابي فلم استجب له وأخذت أدافع ، فقال لي : يا أبا ايوب ما ورد عليك بعدي ؟ أرى عينيك ونفسك ووجهك بخلاف ما خلفتك منذ ساعة . فقلت : ماورد عليّ شيء . فقال والله لئن لم تصدقني لأفعلن وأصنعن . فقلت : ماعندي ما اصدق عنه . فأقبل عليّ أخي فقال : لتخبرني بشأنه ، فخافه أخي فصدقه عن الصورة ، فسكن وقال له : أتعرف لأي شيء قمت انا . فقال لا . قال : كوتبت بأن ولداً ذكراً سوياً قد وُلد لي فدخلت فرأيته وأسميته باسم أبي وكنيته بأبي مروان . قال سليمان : فقمت اليه وقبلت يديه ورجليه وهنأته وقلت : أيها الوزير هذا يوم مبارك وقد رزقت ابناً فارحمني وارع سالف خدمتي لك واجعل ابني موسوماً بخدمة ابنك يسلم معه في المكتب ويتعلمان وينشوان في دولتك فيكون كاتباً له ، فحملته اللدادة والقسوة التي فيه الى ان قال : يا أبا أيوب أعلي تجوز بي وتستفز وتخاتل ، قد حدثتك نفسك بان ابنك هذا يبلغ المبالغ وتؤمل له الوزارة ، ورجوت في نوائب الزمان وقلتُ : ارجو ان يحتاج ابنه الى ابني حتى يطلب منه الاحسان والفضل ؛ فاذا استحلفك بالله وأحرج عليك ان بلغ ابنك هذا المبلغ الا وصيته ان جاءه ابني لشيء من هذا ان لا يحسن اليه . قال : فأعظمت الخطاب وتنصلت واعتذرت ووقع في قلبي في الحال ان هذا غاية البغي ، فان الله عز وجل سيخرج ابنه الى ابني فيحتقق فيهما ما قاله وظننته ؛ وما مضت الا مديدة حتى فرج الله عني ، ثم قال لي أبي : يا بني بالله ان رفعك الله والزمان ووضع ابنه حتى يحتاج اليك الا أحسنت اليه . قال : وضرب الدهر مضربه ، فما عرفت لابي مروان خبراً حتى رأيته اليوم فكان ما شاهدتم . ثم أمر بطلب ابي مروان فأحضر فوهب له مالاً وخلع عليه وحمله وقلده ديوان البريد والخرائط . قال ابو الحسين : فما زال يتقلده منذ ذلك الوقت الى آخر وزارة ابن الفرات الثالثة فانه مات فيها ، وقد تقلده ثلاثين سنة أو اكثر ، وكان كتب الى عبيد الله اول ما كاتبه بعد تقلده هذا الديوان :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عبد الوزير وخادمه عبد الملك بن محمد ، فأراد عبيد الله ان يتكرم عليه ، فقال له : أنت على كل حال ابن وزير وما أحب ان تتعبد لي ؛ فاكتب اسمك فقط على الكتب . فقال لا تسمح نفسي بهذا ولكني اكتب عبد الملك بن محمد عبد الوزير وخادمه . فقال : اكتب ، فكتب بذلك فصارت عادة ، فكتب بها الى جميع الوزراء الى ان مات في وزارة ابن الفرات الثالثة ، فصار كالمترتب عليهم بما عامله من ذلك عبيد الله ، وغلب عليه ان عُرف بأبي مروان الخرائطي ونسي نسبه الى ابن الزيات الا من كان يعرفه من الكتاب وغيرهم ، أخبرني بذلك جماعة من الشيوخ[1] » .

بغداد : صبحائيل ثوما

(١) الفرج بعد الشدة ١ : ١٠٨ — ١١٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net